

## أبعاد مفهوم الاستخلاف على الخطاب الدعوي المعاصر

طالبة دكتوراه عبير بلقاسم بوزيدة

كلية العلوم الإسلامية- جامعة باتنة 1

مخبر الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة

abir.belkacembouzida@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2021/04/18

تاريخ الإرسال: 2021/01/03

### الملخص:

يأتي هذا البحث ليعالج قضية من القضايا المهمة في حقل الدراسات الدعوية والفكرية على حد سواء والتمثلة في قضية الخلافة الإنسانية في الأرض، وأبعاد هذا التصور على الخطاب الدعوي المعاصر. وقد ناقش أهم الأبعاد التي يقدمها الفهم السليم لمفهوم خلافة الإنسان في الأرض والذي من شأنه أن ينعكس على صورة ومضمون الخطاب الدعوي المعاصر. وقد خرج بجملة من النتائج والثمرات أهمها أن قضية ربط الخطاب الدعوي بالمضامين والأسس الاستخلافية ليست قضية هامشية وأن مفهوم الخلافة الإنسانية من شأنه أن يؤسس لخطاب دعوي يتسم بالعالمية والإنسانية، وأنه خطاب إيجابي وواقعي. **الكلمات المفتاحية:** الخلافة الإنسانية؛ الأبعاد؛ الخطاب الدعوي المعاصر.

### Abstract:

This research comes to address one of the important issues in the field of advocacy and intellectual studies alike, namely the issue of the human caliphate on Earth and the dimensions of this perception on Contemporary The lawsuit speech, we divided the research into an introduction, a conclusion, and two requests.

In the first, the researcher discussed the concepts of the research paper - Substitution - the advocacy discourse, and in the second he presented the most important advocacy dimensions of the concept of human succession in terms of its image and the content of contemporary the lawsuit speech.

The researcher has reached a number of results and fruits, the most important of which is that the issue of linking the advocacy discourse with the contents and the divisive foundations is not a marginal issue and that the concept of human caliphate would establish a claim discourse that is global and positive, and that it is a humane and realistic lawsuit speech.

**Key words:** succession humane, Dimension ,speech, The lawsuit, Contemporary.

### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، رب العرش العظيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان ليوم الدين.

وبعد: فقد كرس هذا البحث لدراسة موضوع "الاستخلاف الإنساني"<sup>1</sup>، وهو من المواضيع التي اهتم بها العلماء السابقون والمحدثون اهتماما بالغا وألوهها عناية كبيرة.

وذلك على اعتبار أن الخلافة الإنسانية هي القضية الأم التي تشغل عقول الصفاة من العلماء والمفكرين فههي تعبر عن حقيقة الوجود الإنساني بتجلياتها، تلك الحقيقة التي كانت ولا تزال تؤرق كل

باحث عن ماهية الوجود وعن دور الإنسان في هذا الكون، ذلك لما تطرحه من مسائل جزئية فرعية تتجزء عنها، وما تفرضه من استشكالات المأثى والمصير الإنساني.

ورغم اهتمام العلماء بهذا الموضوع إلا أنه لا يزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث لسد الثغرات التي تركتها الدراسات السابقة<sup>3</sup> في بحثها له إذ أن المستقرى للمدونة الفكرية التي سلطت الضوء على مفهوم الخلافة الإنسانية يلاحظ جليا غياب الزاوية الدعوية في الطرح وكأن العمل الدعوي بعيد كل البعد عن هذا المعلم الراسخ وهذا المفهوم العميق والشائك.

هذا ولم يقف الباحث على جهد سابق يشمل الأبعاد الدعوية لمفهوم الاستخلاف أو انعكاسات هذا المدلول على الخطاب الدعوي عموما، ولم يحض هذا الموضوع بالتحليل والدراسة الكافية مع أن منطلقات الخلافة الإنسانية ومتطلباتها الفرعية وفق التصور العقدي الإسلامي، هي المنهج الذي يجب أن تتمسك به الدعوة الإسلامية ولا بد للقائمين على الخطاب الدعوي أن يعضوا عليها بالنواجد بعيدا عن شوائب الفلسفات الغربية والثقافات الدخيلة.

كما أن متطلبات الخلافة الإنسانية من شأنها أن توحد خط العمل الدعوي وفق مقاصد الإسلام العليا وغاياته السامية بعيدا عن الفقه الفروعى وغشاوة الجزئيات التي توارثها الفكر الإسلامى فباتت وكأنها من جوهر الإسلام، وماهى إلا معطلات للإدراك والفهم الشامل والمتكامل للإسلام.

وضمن هذا السياق تأتي هذه الورقة البحثية الجادة لتسلط الضوء على مفهوم الخلافة الإنسانية وأبعادها الدعوية وذلك من خلال السؤال الإستشكالي التالي:

**ماهى الأبعاد الدعوية لمفهوم الخلافة الإنسانية؟ أو كيف يمكن لمفهوم الخلافة الإنسانية أن ينعكس ويتجلى في صورة ومضمون الخطاب الدعوي المعاصر؟**

وقبل الإجابة على الإستشكالية المطروحة وعرض الدراسة لابد منهجيا من الإشارة إلى بعض مبررات الدراسة وهى:

- 1- غياب الفهم الشمولى للإسلام ومقاصده العليا وربطه بجزئيات ضيقة ومفاهيم سطحية وشكلية كانت بمثابة المعول الهادم للدعوة الإسلامية عموما وللخطاب الدعوي خصوصا.
- 2- الضرورة الملحة في تطوير الخطاب الدعوي ليصبح أولا وأخيرا إنسانيا، وهذه القضية ليست مطلبا كماليا، ولا أمرا هامشيا، بل هو ضرورة ملحة تقع في الصميم من قضايا الأمة ومتطلباتها.
- 3- التقزيم والتجبر لدر دور مفهوم خلافة الإنسان في الأرض وجعله مرتبطا بالجانب السياسى فقط فالحديث عن الاستخلاف بات مرادفا للحديث عن الدولة الإسلامية ودولة الخلافة، والخلافة وغيرها من مفردات النسق السياسى للمصطلح في حين أن هذا المفهوم -خلافة الإنسان- أعمق بكثير من ذلك وهو الذى يصبغ حياة الفرد المسلم بتفاصيلها وجزئياتها.

4- راهنية الموضوع، فالحديث عن تجليات الخلافة الإنسانية وانعكاساتها دعويا من خلال الخطاب الدعوي المعاصر من شأنها أن تقدم تصورا إيجابيا عن الإسلام، وتقدم علاقة سليمة مع الآخر سواء داخل الأمة أم خارجها، من خلال التناكر لكل أشكال التشدد والتطرف والإرهاب والتي مردها، ضعف البصيرة بالدين وحقيقته وعدم ربطه بالغايات العليا للإسلام.

ولبحث هذه القضية جاءت هذه الورقة البحثية مقسمة إلى:

**مقدمة:**

عرضنا فيها مدخل تمهيدى وإشكالية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع

**المطلب الأول:** الخطاب الدعوي العالمي التوحيدي.

**المطلب الثاني:** الخطاب الدعوي الإنساني.

**المطلب الثالث:** الخطاب الدعوي الإيجابي.

**المطلب الرابع:** الخطاب الدعوي الواقعي المتوازن.

**خاتمة:** ضمناها أهم نتائج البحث مع التوصيات.

**المطلب الأول:** الخطاب العالمي التوحيدي.

إن عقيدة الاستخلاف التي تجعل من الإنسان أميناً مستخلفاً عن الله عز وجل من أجل عمارة الأرض لا تقتصر في هذا الواجب وهذه الأمانة على أفراد معينين أو جنس دون جنس فهي موجهة للناس كافة والخليفة – الإنسان – هو النوع الإنساني بصفة عامة يقول في ذلك سيد قطب "الخليفة التي تحدث عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: 30)، ليست استخلاقاً لشخص آدم عليه السلام بل للجنس البشري كله والله سبحانه وتعالى قد شرف الإنسان بالخليفة على الأرض فأصبح الكائن الوحيد المتميز بهذا الشرف من بين كل كائنات الكون والدليل على أن الاستخلاف هو للجنس البشري كله أنه من يفسد في الأرض ويسفك الدماء وفقاً لمخاوف الملائكة ليس آدم بالذات بل الأدمية والإنسانية على امتدادها التاريخي"<sup>4</sup>.

فالخليفة بناءً على ذلك قد أعطيت كمهمة وأمانة للإنسانية جمعاء وتحمل الإنسان وحده أعبائها لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: 72).

وينعكس مفهوم العالمية التوحيدية على الخطاب الدعوي المعاصر من خلال العناصر التالية:

#### **الفرع الأول: خطاب دعوي عام للعالمين (لا تفرقة ولا حصر)**

مما لا شك فيه أن أول بعد يحققه التصور الصحيح والسليم لوجود الإنسان في هذا الكون، وقضية استخلافه في الأرض هو البعد العالمي للخطاب الدعوي المعاصر، إذ لا بد لهذا الخطاب أن يكون مشبعاً بالمفردات العامة والعالمية للناس كافة على اعتبار أن المستخلف هو الإنسان دون تفرقة أو حصر لجنس دون جنس أو لقوم دون قوم ونقصد بالتوجه العالمي في الخطاب الدعوي "كون الدعوة الإسلامية جاءت للناس كافة بغض النظر عن مواقعهم وبيئاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، فهي رسالة عامة للإنسانية جمعاء تتجاوز بمضامينها الجديدة الأفق المحدودة التي كانت تدور حولها الأديان المرحلية السابقة المحدودة في الزمان والمكان حيث كان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة"<sup>5</sup>.

وانطلاقاً من هذا التصور العقدي الراسخ فإنه لزام على الدعاة اليوم في كل مكان ربط المضامين الدعوية بعالمية الخطاب وعالمية التوجه والرسالة فتعاليم الإسلام لا بد أن تبقى مفتوحة على مصراعيها للناس كافة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: 28)، وكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: 185)، وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ (آل عمران: 75).

فالمادية الغربية عمدت إلى وضع طبقات متفاوتة صنفت من خلالها الجنس البشري وضيقته على الأفراد وجعلتهم غير متساويين، ومن واجب الخطاب الدعوي المعاصر أن يستغل الصبغة العالمية المستتقة من التصور الاستخلافي لكسر قيود الطبقية وحوار الفصل والتفاضل بين بني البشر، فعراقيل التمايز وقيودها لا بد أن تتجاوز من خلال العمل الدعوي فدعوة الإسلام جاءت للناس جميعاً وسوت في الاعتبار

البشري بين أفراد الإنسانية في كل مكان، وفي كل جيل، ويستحيل أن توجه للناس أين ما كانوا إلى قبول ما تدعوا إليه عامة وهي تفرق بينهم في الاعتبار وتجعل بينهم حواجز أو تصنفهم إلى طبقات، إذ لا بد من عرض سماحة الإسلام وبيان سعته ورحبته وهو الذي يقر حقوق الأفراد بغض النظر عن دياناتهم فالعلاقة وفق المنظور الإسلامي مبنية على التعايش بناء على قاعدة البر والقسط والإسلام شرع للمسلم أن يتزوج بنصرانية أو يهودية وأن لا يكرهها على ترك دينها، فكيف لدعاة الإسلام اليوم أن يتصوروا أن البيت المسلم يسع مسلماً ومسيحياً ولا يتسع مجتمع بأكمله لعلاقة راقية سامية تستوعب كل الأديان وكل الفصائل، بل أحياناً نجد أن الخطاب الدعوي يركز على الفصل واضطراب العلاقة داخل الدين الواحد نتيجة الخلاف في المذاهب والطوائف، فلا بد إذن من هندسة جديدة للعلاقات بحيث تصبح ممثلة لدين واحد وهدف واحد يشترك فيه العالم أجمع.

وبناءً على ذلك فإنه من واجب صنّاع الخطاب الدعوي المعاصر التركيز على عالمية الدعوة الإسلامية كبعد مهم جداً من أجل نشر الإسلام وتعاليمه في ظل انتشار موجات التمييز العنصري والتفاضل بين الأعراق والأجناس والتي باتت تهدد أمن البشر اليوم خاصة في البلدان المستضعفة ولا بد للخطاب الدعوي اليوم وأكثر من أي وقت مضى أن يركز على المفردات ذات الدلالة العالمية خاصة المصطلحات القرآنية التي لها بعيد الأثر على مسامع وعقول المدعويين مثل "يا أيها الناس"، "قل يا عبادي"، "يا أيها الإنسان" وغيرها والتي من شأنها أن تنفي أي صورة من صور الشخصانية والقومية والطبقية التي نادى بها مجمل المعتقدات السابقة والغوص في بحار العالمية الرحبة والتي تشكل وترا حساساً لا بد أن يعزف عليه ويحسن استغلاله.

كما أن هذا البعد المحوري من شأنه أن يفتح أفاقاً بعيدة المدى أمام الخطاب الدعوي المعاصر من خلال توسعة المجال الخاص بالدعوة، وكذا تعداد الأساليب والمناهج في مخاطبة المدعويين وهو الذي سيجد نفسه أمام فصائل شتى تدين بديانات مختلفة ومتباينة وهو أمر في غاية الصعوبة، إذ أنه يقتضي الإحاطة بجملة من المناهج الدعوية ومعرفة أصناف المدعويين بدقة، كما أنه مطالب بأن يتعامل مع كل فئة بما يلائمها ويتفق مع اتجاهاتها ومدى قربها أو بعدها عن العقيدة الإسلامية للوصول إلى التأثير المطلوب.

### الفرع الثاني: خطاب تحريري (لا عبودية إلا لله عز وجل)

إن الخطاب الدعوي المعاصر مطالب انطلاقاً من مفهوم العالمية التوحيدية بتحرير البشرية جمعاء من ربق القيود الوضعية، ومن سلطة الفلسفات المادية التي أثقلت كاهلها منذ زمن فهو مطالب إلى توحيد صفوف الإنسانية تحت لواء واحد مرتكزه الإيمان الراسخ بوجود رب للكون وأن الناس سواسية أمام الله سبحانه وتعالى الذي أمر "بالوحدة والاتحاد والاجتماع بين أفراد الأمة الإسلامية على كلمة التوحيد ودين الإسلام ومنهجه"<sup>6</sup>.

وإن كان الخطاب هنا يختص بالأمة الإسلامية فإن الدعوة إلى نشر عقيدة التوحيد الخالص كانت ولا تزال أساس دعوة الإسلام ومهد الرسائل السابقة وهو الدور الذي لا بد للخطاب الدعوي المعاصر أن يضطلع به لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا﴾ (آل عمران: 103).

كما أن التصور الاستخلافي الذي يقدم الإنسان على أنه عبد لله عز وجل وأنه مطالب بالاستخلاف في هذه الأرض يجعل الإنسان متحرراً من عبودية الطواغيت على اختلاف أصنافهم، وهو ما يقدم مساحة واسعة تكون بمثابة بوابة من أبواب الخطاب الدعوي خاصة في مخاطبة الآخر "فإقامة العلاقات الاجتماعية

على أساس العبودية المخلصة لله وتحرير الإنسان من عبودية الأسماء التي تمثل أبواب الاستغلال والجهل والطاغوت"<sup>7</sup>.

فمفردات التحرر الإنساني من أبرز المفردات التي يجب على صناع الخطاب الدعوي المعاصر استغلالها خاصة والإسلام يتهم يوماً بعد يوم بمظاهر التعسف والقهر لأصحابه ومصادرة آراءهم وهو الذي في الأصل رسخ لأهم قاعدة من قواعد العمل التحرري وأخطرها وهي حرية المعتقد مصداقاً لقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: 256).

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية "في هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان من احترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال، في الاعتقاد وتبعية عمله وحساب نفسه وهذه هي أخص خصائص التحرير الإنساني"<sup>8</sup>.

فالدعوة إلى عبادة الله عز وجل تحرر الإنسان من جميع القيود وتتجلى هذه الحرية في دافع الحياة، لما في ذلك من تحرر لإرادة الكائن البشري وطاقاته وفق منطق الخلافة الإنسانية "معرفة الله من شأنها أن تؤسس قيام مجتمع على أسس كونية توحيدية، مما يعني أنه لا سيد ولا مالك ولا إله للكون والحياة إلا الله سبحانه وتعالى وأن دور الإنسان في ممارسة حياته إنما هو دور الاستخلاف والاستئمان"<sup>9</sup>.

#### المطلب الثاني: الخطاب الدعوي الإنساني.

إن النص القرآني جاء صريح الدلالة في أن المهمة الإستخلافية جاءت منوطة بالإنسان دون غيره من الكائنات الأخرى وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: 72)، فالإنسان هو الخليفة وهو المطالب بالأعمار والرقى في الأرض.

كما أن تعاليم الوحي الإلهي منذ الأزل ومنذ بدء الخليقة جاءت موجهة لإصلاح ذات الإنسان وذلك إن دل على شيء فهو يدل على محورية الإنسان في الكون ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 70).

"والإنسان في العقيدة الإسلامية ينزل منزلة هامة جداً فلا غرورة فهو في الغاية من الدين كله، وقد جاءت بيانات قرآنية وحديثية كثيرة تحدد أحكاماً عقدياً في خلق الإنسان وقيمه وغاية وجوده ومصيره بحيث يكون بضم بعضها إلى بعض رؤية عقدياً في الإنسان"<sup>10</sup>.

وانطلاقاً من ذلك فالخلافة جاءت موجهة للإنسان وفق منهج واضح وصريح "والنوع الإنساني وجد على هذه الأرض لهدف محدد ومادام النوع الإنساني قد وجد مرة واحدة في زمن هو بدء الزمن الإنساني حقا فلا بد أن يكون الهدف واحداً"<sup>11</sup>.

وتنعكس الصبغة الإنسانية على الخطاب الدعوي المعاصر وفق المحاور التالية:

#### الفرع الأول: خطاب يركز على محورية الإنسان (الإنسان أساس الإصلاح)

الإنسان في الإسلام هو المحور، هو الأساس الذي تبنى عليه حضارة القرآن الكريم حضارة العمارة والإستخلاف وعلى القائمين بصناعة الخطاب الدعوي المعاصر استثمار هذا الجانب "فالحضارة الغربية متحيزة للمال والقوة والمتعة والشهرة والخطاب الإسلامي اليوم مطالب أن ينحاز للإنسان لأنه إنسان كرمه الله تعالى وأسجد له ملائكته وهذا الانحياز ينبغي أن يقوم على الرحمة والمعونة وحفظ الحقوق ومراعات الكرامة الإنسانية إلى جانب الاهتمام بالارتقاء بالإنسان"<sup>12</sup>.

فمضامين الخطاب الدعوي المعاصر لا بد أن تكون موجهة لصناعة الإنسان - الإنسان الخليفة- بكل ما تحمله هذه العبارة من دلالات الرقي الفردي سواء تعلق الأمر بالرقي الروحي أو العقلي أو النفسي. كما أنه مطالب أن يتوجه إلى محور الإنسان بالاهتمام وتسليط الضوء على كثير من القضايا الإنسانية المغفلة والمهملة فهو الذي غالباً ما ركز على جانب الإلهيات والعقائد و "لقد أصيب الخطاب الإسلامي في مساحة واسعة منه بجزء من داء الكنيسة المسيحية حيث الاستغراق في الحديث عن ذات الله تعالى وصفاته مع الإهمال لمكانة الإنسان والذي يمثل وجوده أروع آيات الله تعالى وأفضل تجليات قدرته ومظاهر عظمته"<sup>13</sup>.

كما أن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عادة ما تبقى في إطار الجوانب العبادي والمخالفات الشرعية الشخصية فقط ولا تسعى إلى تسليط الضوء على الأبعاد الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، وهذا الخلل في الخطاب الدعوي هو أحد تجليات ضعف النزعة الإنسانية عند صنّاع هذا الخطاب أو القائمين عليه.

ومنه فإنه لزام على مضامين الخطاب الدعوي أن تستعيد خطها الصحيح والسليم من خلال عرض مسؤولية الإنسان ومحوريتها في هذا الكون من خلال بيان مهامه تجاه نفسه أو تجاه خلقه أو تجاه الكون الذي هو مستخلف فيه.

وبيان دور الإنسان وفق المنظومة الإستخلافية التالية الإله-الإنسان- الكون -فإنّ العمل الدعوي سيحقق النجاعة المطلوبة والهدف المنشود من الدعوة الإسلامية عموماً وهو تحقيق أعلى مستوى من الخلافة الإنسانية في الأرض، كما أن الخطاب الدعوي اليوم يحتاج إلى اهتمام أكبر بالقضايا الإنسانية وذلك بغية النهوض بالأمة الإسلامية ومعالجة جملة من المشاكل والحاجات التي تعاني منها وهي التي تتخبط تحت وطأة انتشار الأمية والفقر ونقص الخدمات بصفة عامة.

فالدعوة الإسلامية اليوم بحكم ابتعادها عن القضايا المتعلقة بتطور الإنسان والارتقاء به على جميع الأصعدة قدمت دليلاً قاطعاً على قصورها وعطالتها فمن "أبرز مظاهر العجز والخلل في واقع مجتمعاتنا تدني موقعية الإنسان وانخفاض مستوى الاهتمام بقيمته وحقوقه"<sup>14</sup>.

### الفرع الثاني: خطاب مكرم للإنسان (تحت شعار الكرامة والأخوة الإنسانية)

إن تكريم الخطاب الدعوي للذات الإنسانية يستقي مصادره ابتداءً من آيات القرآن الكريم ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا﴾ (النساء: 1)، فهو مطالب بناءً على ذلك بالتركيز على هذه الخاصية فالإنسانية عملة مأنوسة يصغي لها جميع البشر "فالرسالة الإسلامية تخاطب الإنسان من وراء كل الظروف والبيئات والأزمات، لأنها فطرة الإنسان التي لا تتبدل ذلك لأنها سنة الله الخالدة"<sup>15</sup>.

وتعاليم الوحي الإلهي ما جاءت مفرقة ولا ميزة لشعب أو لقوم من الأقسام بل جاءت موحدة لصفوف الإنسانية تحت مبدأ الكرامة الإنسانية المقرر والراسخ في الآية الصريحة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 70). فالآية الكريمة واضحة في شمولية التكريم لبني البشر جميعاً وهذا ما أكده بعض المفسرين يقول الألوسي البغدادي "ولقد كرمنا بني آدم: أي جعلناهم قاطبة برهم وفاجرهم ذوي كرم، أي شرف ومحاسن جملة لا يحيط بها نطاق الحصر"<sup>16</sup>.

كما أنّ تأكيد الخطاب الدعوي على مفردات التكريم الإلهي للإنسان بعيداً عن التمييز أو التبعيض لهذه الكرامة من شأنه أن يدحض مجمل التوجهات الإرهابية الممارسة باسم الإسلام والتي تحرض على إزهاق الأرواح والدوس على تكريم الله لبني آدم متناسية أو متجاهلة لكون "الدعوة الإسلامية جاءت لتعزيز الكرامة الإنسانية وحماية الإنسان من كل تعسف يחדش هذه الكرامة"<sup>17</sup>.

والخطاب الدعوي المعاصر اليوم أمام تحدي هام جداً مفاده إيصال رسالة الإسلام فيما يخص شمولية مبدأ التكريم الإلهي للإنسان ابتداءً وذلك من خلال مضامينه الدعوية بالإضافة إلى ممارسته فعلياً.

كما أن تبعيض الكرامة الإنسانية وحصرها في فئة معينة أو قوم معين يعد من نواحي القصور والخلل بالنسبة للخطاب الدعوي في الوقت الراهن ولا بد من رداء الصداً ومعالجة هذا النقص والقصور. إذ أن الأمة الإسلامية اليوم تنكرت للكرامة الإنسانية وابتعدت عن هذه المضامين، ومن هذه الأراضية انبثقت التوجهات الإرهابية "التي تمارس العنف وإزهاق النفوس وقطع الرؤوس واختطاف الأبرياء واستهداف المدنيين كل ذلك باسم الدين وتحت شعار الإسلام وبعنوان الدفاع عن مقدّسات الأمة"<sup>18</sup>.

والأخوة الإنسانية معلم مهم أيضاً لا بد لصناع الخطاب المعاصر أن يحسنوا استغلاله "فالإسلام كما يدعو إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين يذكر بالأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين"<sup>19</sup>.

فالناس سواسية في الإسلام، وكلهم خلقوا من نفس واحدة، ومن شأن ذلك أن يقدم صورة مؤثرة عن العلاقات الإنسانية بين البشر وهي التي لا بد أن تبنى وفق أرضية مشتركة مفادها أن الدين الإسلامي يركز على مبدأ الأخوة الإنسانية ويهدف إلى تحقيقه في واقع الحياة من خلال الدعوة إليه وعرض مختلف النماذج التي تؤكد عليه وكيف أن الإسلام ضم في حناياه مختلف الجنسيات والأعراق واحتواهم تحت لواء الإخاء الإنساني فهو الذي ضم بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي إلى جانب إخوانهم العرب<sup>20</sup>.

وبناءً عليه فإنّه من خلال خاصيتي الأخوة والكرامة الإنسانية فإنّ الخطاب الدعوي من شأنه أن يكتسب المزيد من جوانب الإشراف والإيجابية والتأثير خاصة في عرضه للأخر.

### الفرع الثالث: خطاب قيمي أخلاقي (لا لتشيؤ الإنسان)<sup>21</sup>

الخطاب القيمي الأخلاقي هو الخطاب الذي يركز على جملة القيم التي يبنيها الطابع الإنساني للدعوة الإسلامية من خلال "نشر فضيلة العدل والخير والتكافل والمحبة لتحقيق مبدأ الاستخلاف الذي نحن مأمورون به والوقوف أمام هذا الغول المرعب الذي يدمر كل فضيلة وخير المسمى (العولمة) وما تبثه من ظلم وموت ودمار وبهجة فارغة لا محتوى لها"<sup>22</sup>.

فالعالم الغربي اليوم يعيش حالة من التيه والتشتت والدمار الأخلاقي بسبب تنكّره لإنسانية الإنسان وجعله شيئاً شأنه شأن باقي الأمور المادية، شأنه شأن الآلة المنتجة وعلى الخطاب الدعوي المعاصر اليوم أن يستغل هذه الثغرة ليقدم البديل الأخلاقي والقيمي الذي يقدم الإنسان على أنه سيد الكون ولا بد من "التركيز على مخاطبة النواحي الوجدانية في النفس البشرية سواء في مخاطبة الذات أو مخاطبة الآخر لأن تلك النواحي تشترك فيها البشرية جمعاء بغض النظر عن اللون والجنس والعمر والدين واللغة وخصوصاً وعالمنا اليوم عالم مادي تكاد تلك القيم الجميلة أن تنقرض فيه بسبب سيطرة المادة وغلبة المصلحة وشيوع الشهوات والملذات الفاتلة للروح والوجدان"<sup>23</sup>.

ومن أبرز المواضيع التي يمكن للخطاب الدعوي أن يركز عليها موضوع حقوق الطفولة، الرفق بالحيوان، الإحسان، الصحة والغذاء وغيرها من المواضيع التي تضيء طابع القيمة والأخلاق على الخطاب

الدعوي وتبعده على الجفاف والبرودة ذلك أنه لا بد من "مواجهة تبرد المشاعر والأحاسيس الإنسانية بتعاليم الإسلام الأصيلة التي توقظ الوجدان وتبعث دوافع الخير والحب في نفس المسلم تجاه كل إنسان"<sup>24</sup>. فالأمة الإسلامية بحكم خيريتها «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» (آل عمران: 110)، يجب أن تكون سفيرة الخير والقيم السامية للعالمين حاملة معها شعار الرفعة الأخلاقي والسمو الروحي للمجتمع البشري عامة، ولا بد لها بناء على ذلك من خطاب يؤهلها لهذا الدور العظيم ويقدم الإسلام للعالم بناء عليه.

### المطلب الثالث: الخطاب الدعوي الإيجابي

إن الإيجابية في التصور الاستخلافي الإنساني مصدرها ابتداءً علاقة الله سبحانه وتعالى بخلائقه كلها فالله هو رب الكون، وقد أوكل إلى الإنسان مهمة الاستخلاف والإعمار في الأرض وهذه الخلافة لا تتأتى إلا من خلال العمل والكدح الدائم في سبيل الترقى الفردي والجماعي، يقول تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (النور: 55)، فقد أقر الله عز وجل في معرض آياته أن الاستخلاف الإنساني منوط بالإيمان والعمل الصالح بمعنى الفعل الإيجابي المؤثر في الحياة الدنيا.

كما أن عقيدة الإنسان المسلم وفق مفهوم الاستخلاف هي عقيدة إيجابية فاعلة فهو مطالب بالفعل والإنجاز، مطالب بالكد والجد للوصول إلى مطلب عمارة الأرض "وهذه الإيجابية هي مفرق الطريق بين العقيدة الجدية المؤثرة والعقيدة الصورية السلبية وشمول هذه الإيجابية وتوحيدها هي مفرق الطريق كذلك بين التجمع في الكينونة الإنسانية والنشاط الإنساني والتمزق في هذه الكينونة ونشاطها الحيوي"<sup>25</sup>. فالإنسان المسلم من خلال قراءته الواعية لتعاليم الدين الإسلامي ومضامينه العقدي يدرك جليا أنه مطالب بالفعل والإيجابية والإنجاز وهذا هو مناط تحقيق الاستخلاف الإنساني الموكل إليه من طرف المولى عزوجل.

ويلقى مفهوم الإيجابية في التصور الاستخلافي بضلاله على العمل الدعوي المعاصر من خلال عنصرين مهمين هما:

### الفرع الأول: خطاب إيجابي (دافع بعيد عن القنوط واليأس)

لا بد للخطاب أن يركز على مبدأ زرع الثقة في نفوس المدعويين من خلال الترويج لخطاب إيجابي بعيد عن السلبية واليأس وجميع مفردات القنوط التي من شأنها أن تصبح عقبة كأداء في سبيل فاعلية العمل الدعوي وتحقيقه لمهمته التبليغية.

فمهما كان وضع الأمة الإسلامية سيئا، ومهما كنا نعيش في حالة ركود حضاري وتقهر أبعدنا عن سباق التحضر العالمي إلا أن لنا من المقومات والأسس الإيجابية التي لا بد من عرضها وتبيينها للعالمين خاصة أن الدين الإسلامي يحمل في طياته بذور الصلاح والإصلاح للشؤون الخاصة والعامة. "فنحن دون غيرنا نملك الخارطة التي ترشدنا إلى الطريق الصحيح في حين أن الذين فقدوا الصلة بالوحي يزداد إحساسهم بتشتت الجذور وفقد القاعدة التوجيهية يوما بعد يوم"<sup>26</sup>.

ومنه فإن من ضرورات العمل الدعوي الفاعل التركيز دائما على الجوانب المشرقة في المسيرة الدعوية عموماً وتسليط الضوء على مكامن القوة في النفس الإنسانية المؤمنة بالله تعالى والتي تملك أسلحة هامة من شأنها أن تحدث الفارق في جميع الأفعال الموكلة إليها، إن هي أحسنت استغلالها والاستفادة منها، وعلى العكس من ذلك فإن مفردات القنوط واليأس من شأنها أن تجعل النخبة الفكرية والدعاة



الإسلاميين يعانون في سبيل عرض رسائلهم بل قد تحولهم من رواد للإصلاح الإسلامي إلى جزء من مشكلات الأمة وزاوية مظلمة من زواياها.

فالمسلم يعرف من تصوره الإسلامي أن الإنسان قوة إيجابية فاعلة في هذه الأرض وأنه ليس عاملاً سلبياً في نظامها، فهو مخلوق ابتداءً ليستخلف فيها ليحقق منهج الله في صورته الواقعية لينشئ ويعمر وليغير ويطور، وليصلح وينمي وهو معان على هذه الخلافة، معان من الله سبحانه وتعالى يجعل النواميس الكونية وطبيعة الكون الذي فيه<sup>27</sup>.

لا بد إذا للخطاب الدعوي اليوم أن يركز على ترجمة المضامين القرآنية الإيجابية واقعيًا ويشعر الفرد المؤمن انطلاقاً من دلالات الاستخلاف القرآني أنه عنصر فاعل إيجابي له جميع الخصائص والإمكانات اللازمة التي تجعله أهلاً لأن يكون خليفة الله سبحانه وتعالى في أرضه بعيداً عن التصورات السلبية التي قد تجعل من الدين مرادفاً ليقظة الضمير في صورته النظرية المثالية أو التصوفية الروحانية الغير فاعلة، إنما لا بد أن يستحضر دائماً وأبداً التصميم الدقيق المطلوب منه وفق منطق الإيجابية وعلى الدعاة اليوم جعل بعض الآيات القرآنية شعاراً دائماً لهم مثل ﴿وَالْعَصْرُ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: 1) وكذا ﴿سَتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ دَكَرَ أَوْ أَنْتَىٰ بُعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: 195).

#### الفرع الثاني: خطاب إنجازي (بعيد عن العزلة والركود)

لا بد لصناع الخطاب الدعوي اليوم أن يدركوا أن أساس النهضة الحضارية وسبيل الرقي الفردي والجمعي لا يتأتى إلا من خلال المنطق العملي الفعلي الذي يبعد الفرد المسلم عن صوامع العزلة والركود كما أن "من المهم أن ندرك أن الأعمال الجليلة وكل المباني الحضارية العملاقة لا تقوم على المنع والحضر والإعراض والشجب والتفنيذ، إنما تقوم على المبادرة والسبق والإنجاز والعطاء المتدفق"<sup>28</sup>.

وانطلاقاً من ذلك فلا بد من استثمار الطاقات المعطلة والكفاءات المهمشة في العالم الإسلامي وإعطائها فرصها للبروز والنبوغ من أجل تحقيق الأفضل كما يجب عرض هاته الأبعاد الإنجازية في الإسلام خاصة والغرب يصوره على أنه دين عزلة حضارية بل أكثر من ذلك فقد ردوا وأوعزوا التخلف الحاصل في البلاد الإسلامية إلى ارتباطها باديين الإسلامي وما ذك إلا نتيجة لسوء عرض تعاليم الدين الحنيف الداعمة والداعية للفعل وللإنجاز "فالدعوة إلى الإسلام الإيجابي المتكامل عقيدة ونظام حياة أصبح بضاعة محظورة وسلعة مصادرة في عدد من أقطار الإسلام، والإسلام المسموح به هو الإسلام المستأنس إسلام الدراويش ومحترفي التجارة بالدين، إسلام عصور التخلف والانحطاط، إسلام الموالد والمناسبات التي يسر في ركاب الطغاة ويدعوا لهم بطبول البقاء، إسلام الجبرية في الاعتقاد والابتداع في العبادة والسلبية في الأخلاق والجمود في التفكير والانشغال بالقشور في الدين دون اللباب"<sup>29</sup>.

والخطاب الدعوي المعاصر أمام مهمة أساسية هي تأهيل الأفراد ليصبحوا عمليين في مجمع شؤون حياتهم مدركين لأسباب الترقى الفردي والجمعي على اعتبار أنه المنطلق الأول والأساس لتحقيق النهضة الحضارية المنشودة وتحقيق مرامي الدعوة الإسلامية عموماً كما أنه مطالب "بأن يؤصل في نفوس الناس الاهتمام بتجويد الإنتاجية والاهتمام بالإنجاز وأن يدل الناس دون كلل على الكيفيات التي يصبحون من خلالها أشخاصاً عمليين في كل شؤون حياتهم"<sup>30</sup>.

### المطلب الرابع: الخطاب الدعوي الواقعي المتوازن

إن النزعة الواقعية المتوازنة من السمات الأساسية التي صبغت حياة الإنسان وفق تصوره الاستخلافي ومرد ذلك مما لا شك فيه أن " الوجود الكوني بكل مفرداته وعناصره وقوانينه من صنع الله وتدبيره وحده والإسلام هو وحيه إلى خلقه وهديه إلى الناس كافة ارتضاه لهم لينظم حياتهم الإرادية تنظيماً متناسقاً مع حياتهم الطبيعية فهو بالتالي جزء من الناموس الإلهي العام الذي يحكم فطرة الإنسان وفطرة الوجود العام وينسقها كلها جملة واحدة"<sup>31</sup>.

فإنه سبحانه وتعالى خالق الإنسان وخالق الوجود كله أوكل إلى الإنسان مهمة الاستخلاف في الأرض من أجل العبادة والعمارة ومن حكمته أنه لم يتركه يهيم على وجهه فاقداً للبوصلية المرشدة والهادية فقد قدم له منهجا وصراطاً مستقيماً يهتدي بهديه ويسير وفق ضوابطه فجاء هذا المنهج متناسقاً متوافقاً مع طبيعة الإنسان وخصائصه الفطرية والاجتماعية بمعنى أن النموذج المرجعي الذي رسمه الإسلام لإنجاز مهمة الاستخلاف جاء متناسقاً تمام الاتساق مع طبيعة الإنسان الذي خلقه الله عليها لما خلق من غرائز وطبائع تشكل في مجموعها جملة الاستعدادات الفطرية التي تؤهل الإنسان لتحمل مسؤولية خياراته ومواقفه"<sup>32</sup>.

وينعكس مفهوم الواقعية والتوازن على الخطاب الدعوي المعاصر من خلال عنصرين أساسيين هما:

#### الفرع الأول: خطاب موائم للفطرة الإنسانية (لا تكلف ولا تعقيد)

الدعوة الإسلامية اليوم هي الوحيدة التي تملك التفسير المتوازن والواقعي لحياة الإنسان من خلال الربط الوثيق بين الجانب المادي والروحي «فالإسلام لا يتجاهل واقع الإنسان فطرياً كان أم عارضاً»<sup>33</sup>، وعلى القائمين على الخطاب الدعوي المعاصر التركيز على هذه الخصيصة فعلياً وواقعياً من خلال الطرح الجاد والعميق لهذا الجانب وتسليط الضوء على المضامين القرآنية التي تؤكد هذا الطرح مثل قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: 286)، وكذا ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: 185).

والرد بالحجة والدليل على المتشددين والمتنطعين الذين يصورون الإسلام على أنه دين غلو وتشدد فيه من الإلزامات ما لا يطيقه العقل والمنطق البشري والإسلام بعيد كل البعد عن هذا الوصف الجائر ولا يخفى على كل صاحب عقل أن بعض صور التشدد يسببها الدعوة الإسلامية أنفسهم فهم الذين باتوا يحاسبون الناس على النوافل والسنن كأنها من فرائض وعلى المكروهات كأنها محرمات ، وكل ذلك من شأنه أن يقدم صورة سوداء على الدين والإسلام و "أحسب أن الدعوة الصادقين لو تمهد لهم الطريق بأنهم يقدرّون على استعادة كل هذه القلوب الفارغة وملئها بالحق مرة أخرى فإن الإسلام كان ومزال أقرب الأديان إلى مواعمة العقل والقلب والضمير وإلى التجاوب مع أصالة التفكير وسلامة الضمير"<sup>34</sup>.

وانطلاقاً من ذلك فإن الخطاب الدعوي اليوم مطالب بالتركيز على خاصية المواعمة للفطرة الإنسانية من خلال التوازن في طرحه للقضايا وعرضها للناس وجمهور المدعوين فالإنسان ذو شقين مادي وروحي ولا بد من مراعات التوازن والتكامل بينهما في الخطاب والمضامين الدعوية واستيعابها لجميع الشؤون العقدية والفكرية والروحية والنفسية والاجتماعية للفرد بغية النهوض به وتحقيق الرقي الفردي والجمعي والحضاري.

إذ لا بد لخطاب الدعوي أن يضع حداً نهائياً لمسألة الفصل بين الحياة الدنيا بكل ما تحمله من متطلبات مادية وبين الحياة الآخرة وما تحمله من تصورات روحية فالإسلام "ليس ديناً كسائر الأديان ولكنّه حركة اجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والمجتمع والدولة ومختلف عناصر الاقتصاد والسياسة والأخلاق وأن ميزة

الإسلام أنه نظرية كلية شاملة وأنه لم يجزئ الحياة بل نظر إليها نظرة كلية كما نظر إلى الإنسان كوحدة نفسية وجسمية لا تنفصل<sup>35</sup>.

فالخطاب الدعوي المعاصر مطلب بأن يبرز أن سعادة الإنسان ورفيه تتم بأخذ الجانبية بعين الاعتبار، الشق المادي والمعنوي الروحي وأي تنكر لشق منها يعد انتكاساً في فهم الدين وأسسه المتكاملة " فالإنسان في التصور الإسلامي حيث تتعدد جوانب وجوده وحاجته وشخصيته فإنه في نفس الوقت كيان واحد متكامل له أبعاده المادية والروحية التي لا تنفصم ولا تتعارض ولا مجال لتحقيق سعادته وتوازنه في هذه الدنيا، إذا أهمل أي جانب من هذه الجوانب أو أسيء استخدامه<sup>36</sup>.

### الفرع الثاني: خطاب مركز على الأولويات (فقه الواقع أولاً)

إن الدارس لتاريخ الدعوة الإسلامية والباحث في مضامين القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة يقف على قوة النزعة الواقعية والتوازن في المضمون الدعوي عموماً ويلاحظ مدى اهتمامها لمراعات الأعراف وسنة التدرج في العرض والمرونة في تقديم القضايا ومعالجتها للتجدد في الأحداث والمواقف وفقه الواقع، كل ذلك يتم بناءً على الاتصال الوثيق بين المضامين الخطابية الدعوية والواقعية والتوازن اللذان يعدان منطلقاً أساسياً لحسن عرض الإسلام.

والخطاب الواقعي هو "المدرک لأبعاد الواقع بمجالاته وحيثياته المختلفة، كما نعني أنه خطاب قادر على تطوير الواقع وتوجيهه والنهوض به"<sup>37</sup>.

بمعنى أنه متوازن، يعي الحثثيات والملايسات التي يتحرك وفقها ولا فإنه لن يحقق النجاعة والفاعلية المرجوة، ففقه الواقع كان ولا يزال أساس التأثير الإيجابي في العمل الدعوي من خلال اختيار القضية المناسبة وعرضها بالطريقة المناسبة والمتنكر لفقه الأوليات حتماً سيجد نفسه في دوامة لا بداية لها ولا نهاية. "ولابد للدعاة اليوم التركيز على أولويات الخطاب في العالم الإسلامي المعاصر فكثير من الدعاة بجهل منه أو بغيره يرى ترجيح نافلة في مجال العبادات على درس علمي أو ابتكار صناعي، وربما يظنون تلاوة وردا أرضى لله من اختراع آلة أو صون جهاز أو أحكام إدارة أو تدبير سياسة"<sup>38</sup>.

### خاتمة:

وبناءً على ما تم عرضه في هذه الورقة البحثية يمكن استنتاج الآتي:

- 1- إن ربط الخطاب الدعوي المعاصر بدلالات الخلافة الإنسانية ليس قضية ثانوية إنما هو لب العملية الدعوية وأساس النهضة والإصلاح وذلك من خلال الأبعاد التي قدمها الفهم الصحيح والسليم لخط الخلافة الإنسانية من خلال جعل الخطاب الدعوي خطاباً عالمياً، إنسانياً، إيجابياً، وواقعياً.
- 2- لقد شكل موضوع الخلافة الإنسانية بالنسبة للخطاب الدعوي المعاصر نقطة ارتكاز محورية وحاضرت رئيسياً في خطابه سواء مع الذات ومع الآخر على اعتبار حاجة الإنسانية عموماً لمثل هذه الطروحات الإيجابية خاصة والحضارة الغربية اليوم تشهد انحلالاً خلقياً ومعنوياً بصفة عامة.
- 3- إن إبراز الأبعاد الدعوية للمنظومة الاستخلافية يهدف إلى نفي المنهج التجزيئي أولاً وتجاوز المنهج الإسقاطي ثانياً إضافة إلى تأكيد عالمية وكونية القرآن الكريم.
- 4- جميع الطروحات الهادفة إلى إصلاح وتجديد الخطاب الإسلامي الدعوي المعاصر لا بد أن تنطلق من مضامين القرآن الكريم، فالمفردات الأولية لهذا التجديد والإصلاح ساوية ضمن نسيج النص القرآني ولا بد للباحثين الجادين العمل على كشفها بغية وضعها في سياقها الكلي الصحيح الذي من شأنه أن يعيد الخطاب الدعوي والعمل الدعوي عموماً إلى سكنه الصحيح.

5- الدراسة تهدف إلى محاولة الخروج من القراءة التجزئية أو التبعية لمفهوم الخلافة الإنسانية، هذه القراءة التي تختزل دلالات الاستخلاف في شقه السياسي أو جزء منه ، وبما أن كل اختزال يحوي من ضمنه تشويها وتأويلا فلنا أن نتصور حجم التأويل الذي يمارس على مفهوم خلافة الإنسان في الأرض لإسقاط الرؤى والتصورات الذاتية على حساب كلية وكونية النص القرآني التي تربط خلافة الإنسان بحيثيات الحياة الإنسانية عامة.

وإن مثل هذا الجهد المعرفي يشكل مساهمة جادة في مجال الحقل الدعوي، وفي أحد أهم مراكز العقيدة الإسلامية -قضية خلافة الإنسان في الأرض مما يعطي على ضوء هذه الأفكار والطموحات أفقاً مفتوحاً لتدارس الموضوع الأمر الذي لا بد أن يستفز النخبة معرفياً لمزيد من الاهتمام والبحث خاصة وأنها بعيدون كل البعد عن مضامين الإسلام ومبادئه الكبرى والأساسية.

### قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- 1- عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2، 1413هـ-1992م .
- 2- سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، د.ت.
- 3- مطبعة وزارة الشؤون الدينية، أصول الدعوة عند ابن باديس، القبة، الجزائر، د.ط، 1414هـ -1993م.
- 4- الدميجي، عبد الله بن عمر، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1409هـ.
- 5- عبد الكريم بكار، تجديد الخطاب الإسلامي، دار السلام، الطبعة الأولى، 1434هـ -2013م
- 6- عبد الواحد وافي، حقوق الإنسان في الإسلام، علي دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ط، د.ت.
- 7- حسن الصفار، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2005م.
- 8- مركز نون للتأليف والترجمة، خلافة الإنسان، سلسلة دروس من فكر الشهيد الصدر، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط1، 1432هـ - 2011م
- 9- عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، بحث في جدلية النص والعقل والواقع ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ -1987م .
- 10- محمد باقر الصدر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء تحقيق أحمد ماجد ، دار المعارف الحكيمة، ط1، 1435هـ -2014.
- 11- محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 2000م .
- 12- أحمد خيرى العمري، سيرة خليفة قادم قراءة عقائدية في بيان الولادة، دار أجيال للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1434هـ -2013م
- 13- يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود التطرف، كتاب الأمة، دار الشهاب، باتنة، الطبعة الثالثة، 1402هـ.
- 14- عبد المجيد النجار، العقل والسلوك في البنية الإسلامية، مطبعة الجنوب، تونس، د.ط، 1980م .
- 15- محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشهاب، الجزائر، د.ط، د.ت.
- 16- عبد المجيد النجا، فقه التحضر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م
- 17- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر دمشق، ط1، 2020م .
- 18- سيد قطب، في ظلال القرآن، الجزء الأول، دار الشروق، القاهرة، الطبعة خمسة عشر، 1988م.
- 19- أنور الجندي، المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر، دار بوسلامة للطباعة والنشر ط2، 1984.
- 20- سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، د.ط، د.ت.
- 21- سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993م.
- 22- الطيب برغوث، منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ -1996م

23- خالد فائق العبيدي، هندسة الدعوة العصرية من المنطلقات إلى التطبيقات، دار ابن حزم، ط1، 1431هـ -2014م  
24- محمد زمران، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم، دلالاتها وأبعادها الحضارية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة باتنة، الجزائر، دار الإعلام، ط1، 1423هـ -2002م.

## الهوامش:

- 1- يشير لفظ (خَلَفَ) في المعاجم اللغوية إلى عملية الإبدال والتعويض ومجيء شخص مكان شخص آخر أو بعده، أمّا من الناحية الاصطلاحية فإن مفهوم الإستخلاف يعني: خلافة الإنسان في الأرض وهي خلافة رعاية وإعمار، والمنظومة الإستخلافية في القرآن الكريم تتمحور حول ثلاث محاور (الله سبحانه وتعالى، الإنسان، الكون)، فهي تعبر عن المهمة الوجودية للإنسان وهي مفهوم حضاري شامل يغطي الحياة الإنسانية بتفاصيلها من خلال مبدأ التكريم الإنساني وما قدم له من مسؤولية عظيمة في هذا الوجود.
- 2- لمزيد من التوسع في مفهوم الخلافة الإنسانية ودلالاتها ينظر: وظيفة الإستخلاف في القرآن الكريم، دلالاتها وأبعاده الحضارية، محمد زمران، ص 23 وما بعدها، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، عبد المجيد نجار، ص 47-48.
- 3- ينظر: الأبعاد التربوية لمفهوم الاستخلاف في ظل القرآن الكريم، صبري خليل خيرى، مركز التنوير المعرفي، دون طبعة، دون سنة و الأبعاد السياسية لمفهوم الاستخلاف في ظل القرآن الكريم، صبري خليل خيرى، مركز التنوير المعرفي، دون طبعة، دون سنة، الأبعاد المعرفية لمفهوم الاستخلاف في ظل القرآن الكريم، صبري خليل خيرى، مركز التنوير المعرفي، دون طبعة، دون سنة.
- 4- دروس من فكر الشهيد الصدر، ص 9-10.
- 5- الطيب برغوث، منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها، مرجع سابق، ص 149.
- 6- الدميحي، عبد الله بن عمر، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، دار طيبة، الرياض، ص 115.
- 7- دروس من فكر الشهيد الصدر، مرجع سابق، ص 18.
- 8- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص 291.
- 9- محمد باقر الصدر، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، ص 19.
- 10- عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، ج1، ص 84.
- 11- أحمد خيرى لعمرى، سيرة خليفة قادم، ص 20.
- 12- عبد الكريم بكار، تجديد الخطاب الإسلامي دار السلام، الطبعة الأولى، ص 120-121.
- 13- حسن الصفار، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، ص 24.
- 14- المرجع نفسه، ص 22.
- 15- سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ص 208.
- 16- الألويسي البغدادي، السيد محمد شكري، روح المعاني في تفسير القرآن، ج 15، ص 117.
- 17- طيب برغوث، منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها، مرجع سابق، ص 333.
- 18- حسن الصفار، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، مرجع سابق، ص 22.
- 19- مطبعة وزارة الشؤون الدينية، أصول الدعوة عند ابن باديس، ص 15.
- 20- ينظر: علي عبد الواحد وافي، حقوق الإنسان في الإسلام ص 221، وما بعدها، مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب، ص 95، وما بعدها.
- 21- التثبيؤ (réification) مصطلح استخدمه الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه "الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان" ويعني تحول العلاقات بين البشر إلى ما يشبه العلاقات بين الأشياء، والإنسان المتشبه هو إنسان ذو بعد واحد قادر على الإذعان للمجردات المطلقة، لمزيد من التوسع ينظر "الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان"، ص 41 وما بعدها.
- 22- خالد فائق العبيدي، هندسة الدعوة العصرية من المنطلقات إلى التطبيقات، ص 25.

- 23\_ المرجع نفسه، ص 255.
- 24\_ حسن الصفار، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، مرجع سابق، ص 59.
- 25\_ طيب برغوث، منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها، مرجع سابق، ص 165.
- 26\_ عبد الكريم بكار، تجديد الخطاب الإسلامي، مرجع سابق، ص 84.
- 27\_ طيب برغوث، منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها، مرجع سابق، ص 165.
- 28\_ عبد الكريم بكار، تجديد الخطاب الإسلامي، مرجع سابق، ص 83.
- 29\_ يوسف القرضاوي، الصحوّة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص 121.
- 30\_ عبد الكريم بكار، تجديد الخطاب الإسلامي، مرجع سابق، ص 104.
- 31\_ سيد قطب، معالم في الطريق، ص 99.
- 32\_ طيب برغوث، منهج في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها، مرجع سابق، ص 146.
- 33\_ عبد المجيد النجار، العقل والسلوك في البنية الإسلامية، ص 70.
- 34\_ محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، ص 14.
- 35\_ أنور الجندي، المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر، ص 30.
- 36\_ عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 169.
- 37\_ عبد الكريم بكار، تجديد الخطاب الإسلامي، مرجع سابق، ص 71.
- 38\_ محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، مرجع سابق، ص 71.